

استعجال

رئيس^(١) وزرائنا عجلان لا يهدأ ، ولا يريد أن يهدأ الناس من حوله ، لا يستريح ولا يريد أن يستريح الناس من حوله منذ عاد إلى كرسي الحكم بعد مرضه الطويل .

فقد أحسّ في آخر لحظة أن الاقتصاد المصرى فى خطر ، وأن الثروة المصرية توشك أن تزول ، وأن الشقاء الذى أخذ يرسل سحبه فى بعض الأجواء المصرية يوشك أن يملأ الجو المصرى كله بهذا السحاب المظلم الذى يبرق من خلاله الجوع ، ويرعد من خلاله الموت ، ويرسل الصواعق على البائسين والمحرومين . ورئيس وزرائنا رحيم شفيق . ورئيس وزرائنا رءرف رفيق ، ورئيس وزرائنا قد آثر فى هذه الأيام أن يضحى بصحته فى سبيل بلاده ، فعدل عن الاستقالة وأزمع البقاء فى الحكم . ورئيس وزرائنا قد عاهد الله ، وعاهد الناس ، وعاهد نفسه منذ اعتزم البقاء فى الحكم على أن يدفع عن الاقتصاد المصرى كل خطر ، وعلى أن يثبت الثروة المصرية فى

(١) ١٢ - ٩ - ١٩٣٣

أيدى المصريين ، وعلى أن يطرد سحب الجوع والحرمان ، والشقاء والموت من جو مصر طردا عنيفا .

ورئيس وزرائنا يتأهب لذلك في جد ما مثله جد ، ويسعى لذلك في حزم ما مثله حزم . وهو لهذا كله قد خاصم الهدوء ، وقطع الأسباب بين نفسه وبين الراحة ، كما قطع الاسباب بين أعوانه وبين الراحة أيضا . وآية ذلك بيّنة واضحة ، ودليل ذلك ساطع جليّ ، فهو قد تحدث إلى وكيل المالية بالتليفون وتقدم إليه في أن يكلف المفتشين الماليين أن يدرسوا الشئون المالية والاقتصادية في الأقاليم ، وأن يرفعوا إليه تقارير يبينون فيها أحوال الناس : أقادرون هم أم عاجزون ؟ أموسرون هم أم معسرون ؟ ألهم طاقة بدفع الضرائب أم هم مكرهون على أن يلتوا بها ويعتذروا عن أدائها ؟

وتفرق المفتشون في الأقاليم ليلبحثوا ويدرسوا وليفتشوا وينقبوا ثم ليحرروا ويكتبوا . وقد يحتاج هذا كله إلى أيام تطول أو تقصر حتى إذا انتهت التقارير إلى وزارة المالية ، فقد يحتاج درسها إلى أيام تطول أو تقصر ، حتى إذا انتهى هذاالدرس في مكاتب الوزراء ورفعت خلاصتها إلى وزير المالية ، فقد يحتاج الوزير لدرس هذه الخلاصة إلى أيام تطول من غير شك ، لأن الوزير مريض متعب ، لا يستطيع أن يتكلف الجهد الثقيل . فإذا فرغ الوزير من الدرس فقد يقترح الدواء إن كان اقتصاد مصر مريضا . وقد يتحدث إلى الصحفيين المصريين والأجانب بأن الحياة الاقتصادية في مصر لم تكن في يوم من الأيام

خيرا مما هي الآن ، كما أن الحياة السياسية في مصر لم تكن في يوم من الأيام خيرا مما هي الآن .

وليس على الوزارة بأس من طول هذا الدرس والبحث ، ومن تفرق المفتشين للتفتيش والتنقيب وكتابة التقارير ورفعها ، فالأموال تجبى على كل حال . إما أن يؤدي الناس هذه الضرائب من تلقاء أنفسهم فيريحوا ويستريحوا . وإما أن يعجز الناس عن تأدية هذه الضرائب فتؤخذ منهم بالقوة والعنف ، سواء كان عندهم ما يعطون أم لم يكن . فالحاصلات الزراعية لا يجوز نقلها أو بيعها أو التصرف فيها على أى نحو من أنحاء التصرف إلا بإذن من العمدة والصراف . وهذا العمدة أو هذا الصراف لا يعطى هذا الإذن إلا إذا استيقن أن ليس على خزانة الدولة بأس ، لأن المال قد دفع ، والضريبة قد أدت وقد يؤدي المال وتدفع الضريبة ولكن العمدة محقق على صاحب الزرع أو الصراف مغيظ من صاحب الزرع ، فلا بأس بأن يرفض الإذن أو يؤخر حتى يعلم صاحب الزرع أن السلطان الخوف ليس سلطان المأمور والمدير والوزير فحسب ، بل سلطان العمدة والصراف أيضا . وإذن فلا بد من أن يسلط بعض الناس على بعض ، ولا بد من أن يذل بعض الناس لبعض ، ولا بد أن يتحكم بعض الناس في حياة بعض ، لأن الدولة تريد أن تعيش ولا بد لها من المال لتعيش ، ولأن الدولة تريد أن تعيش مترفة فلا بد لها من المال لتعيش مترفة . وكيف يجتمع مؤتمر الطيران آخر هذا العام ؟ وكيف يجتمع مؤتمر البريد أول العام المقبل ؟ وكيف تدفع معونة الممثلين والممثلات إذا أقبل الخريف ؟ وكيف تمنح العلاوات الاستثنائية ؟ وكيف تنشأ

قاعة المحاضرات في الجامعة ؟ وكيف تظهر مصر نفسها للناس غنية مترفة إذا لم تدفع إلى الدولة أموالها ، ولم تؤد إلى الدولة ضرائبها ؟ وكيف تدفع الأموال وتؤدى الضرائب إذا لم ييسط سلطان العمدية والصراف على الأغنياء والفقراء وعلى الأقوياء والضعفاء ، وعلى الموسرين والمعسرين ؟ ولا ينبغي أن يضيق المصريون بذلك أو يشكوا منه ، فعسى أن يكره المصريون شيئا وهو خير لهم . وأى خير يطمع فيه المصريون أكثر من أن يأخذوا بالحكم الديمقراطي الصحيح فتعنو وجوههم جميعا للعمدة والصراف ، لا فرق في ذلك بين الذين يرون لأنفسهم مكانة فوق مكانة العمدية والصراف والذين لا يرون لأنفسهم حظا من هذه المكانة .

المصريون جميعا سواء أمام القانون ، والمصريون جميعا سواء أمام العمدية ، والمصريون جميعا سواء أمام الصراف ، ولكن القانون يسوى بين المصريين بالحق والعدل . أما العمدية والصراف فيسويان بين الناس بالشهوة والهوى . ولا بأس على المصريين من هذا ، ففيه تمرين لهم على احتمال الشدائد والصبر على ما يكرهون . ولا ينبغي للمصريين أن يضيقوا بذلك أو يشكوا منه فرئيس الوزراء عجлан ، قد وقف عنايته على درس الأجوال وتعرف الشئون ، فهو يسأل عن سوق القطن ، وهو يلقي مدير بنك التسليف ، وهو يكلف المفتشين الماليين أن يتفرقوا في الأقاليم لبيحثوا أو يدرسوا ثم يرفعوا التقارير .

فإذا سألت : أين كان وزير المالية ورئيس الوزراء قبل هذه الأيام ليعرف شئون الناس وأحوالهم وقدرتهم على الدفع أو عجزهم عن

الأداء ، فإن سؤالك يدعو الى الابتسام وهز الرعوس ورفع الأكتاف . فقد كان رئيس الوزراء ووزير المالية مريضا يستريح في أوربا ، ويتردد على لوسرن وباريس . وكان رئيس الوزراء مشغولا بصحته الغالية عن أحوال الناس وشئونهم وعن قدرة الناس وعجزهم . وصحة رئيس الوزراء قوام الحياة المصرية ، فمن الحق على رئيس الوزراء أن يشغل بها قبل أن يشغل بشئون الاقتصاد ، ولا تقل إن الذى تشغله صحته عن الشؤون العامة يجب أن يفرغ لصحته ، وأن يدع الشؤون العامة . فهذا كلام فارغ لا يقوله العقلاء ، لأن رئيس الوزراء صحيحا ومريضا ، قريبا وبعيدا ، وقويا وضعيفا ، رجل قد فرضته الظروف على مصر فرضا . وهو وحده دون غيره قادر على فهم الشؤون والأحوال ، وتدير السياسة والاقتصاد .

رئيس الوزراء معذور إذن حين شغل بصحته عن الأزمة . ورئيس الوزراء معذور أيضا حين شغل بأزمته الوزارية الخاصة عن الأزمة الاقتصادية العامة . وليس على رئيس الوزراء ولا على مصر بأس فسيستدارك رئيس الوزراء كل مافات ، وسينجز من الأعمال في هذه الأيام القليلة المقبلة ما لم يستطع إنجازها في تلك الأشهر الطويلة الماضية . وأى دليل على ذلك أبعث للأمل وأدعى للرجاء من أنه أخذ يسأل عن سوق القطن ، ويقابل مدير بنك التسليف ، ويكلف المفتشين الماليين البحث والدرس ، ورفع التقارير . ولا تذكر أمر المصارف والديون العقارية ، ولا تذكر أمر الدول وأداء الدين

وفوائده ذهباً أو ورقاً ، فكل هذا شيء يسير سيفرغ له رئيس الوزراء بعد أن يتعرف أمر سوق القطن ويقرأ تقارير المفتشين عن قدرة الناس على تأدية الضرائب .

فرئيس الوزراء متعجل ولكن على مذهبه هو ، لا على مذهبك أنت . وكل وزير خطير مكلف قبل كل شيء أن يدبر من المال ما يمكن الحكومة من الحياة الناعمة المترفة ، ثم يفرغ بعد ذلك لشئون الناس فيهمون عليهم ويرد عنهم ما يخافون ، ليطمئن المصريون إذن ، وليناموا ملء جفونهم ، وليدعنا لتحكم العمدة وعبث الصراف ، ولينتظروا ، فرئيس الوزراء عجлан ، وهو زعيم لهم منذ اليوم بأن تؤدي الضرائب على وجهها فتسعد الحكومة وتنعم ، وبأن تؤدي الديون إلى المصارف فتسعد المصارف وتنعم وتهدأ الأمة وتستريح وبأن تحل مشكلة الدين العام فترتع الحكومة والأمة في روضة بهيجة من اليمن والعز والنعيم والرخاء الذي لا حد له .

لقد أقبلت الخطوب على مصر مخيفة مروعة ، ولكن مصر خليقة ألا تخاف ولا ترتاع ، فرئيس الوزراء عجلان ، يسأل عن سوق القطن ويلقى مدير بنك التسليف ، ويكلف المفتشين أن يبحثوا أو يدرسوا ويرفعوا التقارير .